مبدأ التأدّب في خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي

Politeness in the discourse of Egyptian president Mohammed Anwar al-Sadat in the Israeli Knesset

عماد شعير[1]-Emad Shaier

جامعة حلوان- مصر emadshaier@yahoo.com

تاريخ الإرسال:23-04-2019 تاريخ القبول:06-07-2019 تاريخ النشر : 31-01-2020

ملخّص: التأدب آلية مهمة من آليات التواصل والتفاعل الاجتماعي بين الأطراف، فهو يخفف من حدة الاختلاف والنزاع، ويمتن وشائج الترابط بينهم في المجالات كافة، لا سيما في المجال السياسي، إذ يؤدي التأدب دورًا فاعلا في تقريب الأطراف المتنازعة والكشف عن قصدية المتكلم ونيته تجاه الآخر. ويرمي البحث إلى إبراز دور التأدب في الخطاب السياسي للرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي 20 فبراير 1977م في تقريب الأطراف المتناحرة، والكشف عن توجه الرئيس السادات ونيته تجاه الآخر، وتوافر آليات التأدب في الخطاب والتهديد، وذلك من خلال تطبيق نظرية التأدب لبراون وليفنسن

كلمات مفتاحيّة: التأدب-التأدب الإيجابي-التأدب السلبي-خطاب-الرئيس السادات -الكنيست الإسرائيلي.

Abstract: Politeness is an important mechanism of communication and social interaction between parties. It mitigates the differences and conflicts and fortifies the interrelationship between them in all areas, especially in the political field, as politeness plays an active role in bringing the conflicting parties together and revealing the intention of the speaker and his intention towards the other. The study aims to highlight the role of politeness in the political discourse of Egyptian President Mohamed Anwar Al Sadat in the Israeli Knesset February 20, 1977 in bringing together the warring parties, exposing President Sadat and his loyalty to the other, and the availability of the mechanisms of politeness in discourse and threat by applying the theory of politeness to Brown and Levinson.

[1]-المؤلف المرسل: عماد شعير، الإيميل: emadshaier@yahoo.com

Keywords: Politeness- positive Politeness- negative Politeness- discourse- President Sadat- Israeli Knesset

مقدمة: يبتغي البحث الوقوف على دور التأدب في تحقيق التواصل بين الأطراف المتنازعة لا سيما في الخطاب السياسي، وفاعليته في تحقيق التأثير وتقريب الآخر، والتخفيف من التنازع والخلاف والاختلاف بينهما، والكشف عن إسهامه في توضيح نية المتكلم تجاه الآخر، وهل يأتي التأدب في الخطاب السياسي من باب الخداع والتمويه والمراوغة والرسميات أم من باب الصدق والنية الخالصة، وذلك من خلال تطبيق نظرية التأدب"politenesstheory" لبراون وليفنسن، على الخطاب السياسي للرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي 20 نوفمبر1977م.

وقد وقع الاختيار على خطاب السادات؛ لأنه خطاب الصدمة، شكل مفاجأة كبرى للعرب والعالم، في اتخاذ قرار الذهاب إلى إسرائيل وفي إلقائه، فقد أتى في مرحلة فارقة في الصراع العربي الإسرائيلي، ومن ثم فإن تحليل هذا الخطاب المهم يكشف لنا كيف حقق السادات التوازن بين هدفه الأساسي في تحقيق السلام، وعدم الظهور بمظهر المستجدي الضعيف أو المستعلي الغالب المنتصر في حرب 1973. إضافة إلى أن السادات معروف بقدرته على الإلقاء بطريقة مائزة تؤثر في المخاطَب، حتى باتت سمة من سماته، كما أن تحليل الخطاب من تلك الزاوية سوف يطرح بعدًا جديدًا مغايرًا عن الرؤى التي تناولته من قبل.

وقد انتظم البحث في مقدمة ومباحث خمسة وخاتمة، تجلت على النحو التالي:

المبحث الأول: التأدب عند براون وليفنسن فلسفة وتوجهًا. المبحث الثاني: السياق التأدبي لخطاب السادات. المبحث الثالث: التأدب الإيجابي في خطاب السادات، وتضمن: المنطقة المشتركة، التعاون التبادلي (الضمائر التشاركية/ نحن الجامعة، قطع الوعود، المبررات والحجج). المبحث الرابع: التأدب السلبي في خطاب السادات، وتضمن: المباشرة والتخفيف، السؤال والتلطف، التعبيرات التأدبية التلطفية. المبحث الخامس: تهديد ماء الوجه في خطاب السادات. الخاتمة: وفيها تذكر نتائج البحث.

1- التأدب عند براون وليفنسن فلسفة وتوجهًا: إذا كانت التداولية pragmatism تعنى بدراسة القواعد والمحددات اللغوية وفق سياق محدد، بقصدية من المرسل للمستقبل، فإن إحدى تجلياتها دراسة الوشائج التقريبية بين أطراف التواصل من خلال ما يسمى بالتأدب أو نظرية التأدب (politenesstheory)

يقوم التأدب على طرائق الانسجام والالتئام بين الأطراف المتنافرة؛ ولذا يحد بأنه" مجموعة من الطرائق المتعارف عليها داخل جماعة لغوية، يتمثل دورها في الحفاظ على قدر من الانسجام في أثناء التفاعل بين المتكلمين برغم ما يترتب على كل لقاء واحتكاك من أخطار."[1]

أي أن التأدب هو إرسال رسالة المتكلم إلى المخاطب بصيغة لغوية مهذبة تضمن تمتين التواصل بينهما، وتفعيل الروابط الاجتماعية. يعكس التأدب نية المتكم في التواصل مع المخاطب وطريقته أو رؤيته تجاهه، فيضمن أن يبقى التفاعل بينهما قائمًا؛ إذ يشمل ثبة من المهارات اللغوية التي تفعل بقاء التواصل بينهما.

وكي يتحقق التأدب بين طرفي التواصل لابد أن ينتظمه مجموعة من القواعد: اللباقة، والكرم، والاستحسان والتواضع والاتفاق والتعاطف. وقد بين ليتش (1983) هذه القواعد، وهي علق بالمتكلم، ف" اللباقة(Tact) لا تكلف غيرك أكثر مما تكلف به نفسك، ولا تمنح غيرك أقل مما تمنح نفسك، والكرم (Generosity) لا تكلف نفسك أقل مما

تكلف غيرك، ولا تمنح نفسك أكثر مما تمنح غيرك، والاستحسان(Approbation) أكثر من مدح غيرك وأقلل من ذمك غيرك، التواضع (Modesty) أكثر من ذمك نفسك، وأقلل من مدحك نفسك، الاتفاق(Agreement) أكثر من الاتفاق وأقلل من الشقاق مع غيرك، التعاطف(Sympathy) أكثر من التعاطف مع غيرك، وأقلل من الشماتة في غيرك"[2]

مجموعة القواعد التهذيبية متأرجحة بين المتفاعلين لا سيما حين يؤدي أحدهما دور المتكلم، فعليه التأثيل لحديثه من خلالها، مراعيًا وضع المخَاطب الوضع الموازي له، دون أن يفقد صدق التعبير أو المواجهة؛ إذ لا يعني التركيز على المنطقة المشتركة بينهما، أو مدح الآخر والتعاطف معه وتقديمه عليه أن يغلف كلامه بغلاف التصنع والتمويه أو النفاق الذي يضع المتكلم في دائرة الذم والكذب وإنما عليه بمبدأ الصدق، كما أن تقديم المخاطب لا يعني التقليل من شأن المتكلم أو الحط من قدره؛ إذ إن حقوق المخاطِب ثابتة محفوظة، قال طه عبد الرحمن:" وليس في هذا التقديم حط من مكانة المتكلم؛ لأن هذه الحقوق ثابتة له وليست منتحلة، كما أنه لا يضيع حقوقه؛ لأن هذه الحقوق لا تقوم على التنازع ولا التأدب المقرون بها يقوم عليه." [3]

هذا المنحى الذي أسسه ليتش ينبني على التأدب المطلق أو الأقصى (AbsolutePoliteness)، بالإكثار من عبارات التأدب والتقليل من عبارات غير التأدب؛ وهو بذلك يحافظ على مبدأ التعاون بين المتفاعلين ويقوي وشائج التواصل بينهما، ومن ثم فإن التأدب عنده يأخذ شكلي التأدب الإيجابي والتأدب السلبي؛ استنادًا إلى كثرة الكلام المؤدب الذي يستخدمه المتكلم فيفعل التأدب إيجابيًا أو قلته فيجعله سلبيًا.

وقد راعى كل من براون وليفنسن المنحى النفعي للتأدب فأقاما توجههما على حماية الوجه (ماء الوجه) من خلال وجاه المتفاعلين، ورغبة كل منهما في الحفاظ على وجه الآخر خصوصًا وجه المستمع، فإذا كان ماء الوجه يعرف بأنه " الذات التي يدعيها المرء لنفسه والتي يريد أن تتحدد بها قيمته الاجتماعية" [4] أو "صورة الذات التي تظهر للعموم والتي يريد كل فرد أن يدعيها لنفسه"[5] فإن التهديدات التي تصيب الوجه فتسكب ماءه هي التي تشكل توجه التأدب؛ إذ على المتكلم أن يزيل تلك التهديدات أو يخففها.

وتتبدى الأعمال التي تهدد ماء الوجه في أربعة أعمال تتعلق بطرفي التواصل المتكلم والمستمع؛ أما ما يتعلق بالمستمع بوصفه محور التهديد فأعما ل تهدد ماء وجه السامع السلبي" وفيها لا يظهر المتكلم حرصًا على عدم إعاقة أعمال السامع ورغباته، بل تراه ينجز أعمالا فيها تكليف للسامع وإلقاء العبء علي كاهله كالأمر والنصح والوعيد والتحذير، وأعمال تهدد ماء وجه السامع الإيجابي ولا يكترث فيها المتكلم بمشاعر سامعه ولا يأبه لرغباته واختياراته، ويدخل في هذا الصنف نقد الآخر وتخطئته وإظهار الخلاف معه، وإظهار موضوعات تحرجه؛ لأنها محظورة عنده."[6]

أما ما يتعلق بالمتكلم فأعمال تهدد ماء وجه المتكلم السلبي، وتتجلى في " قبول الهدية وتلقي الشكر وقطع وعود غير مرغوب فيها"[7]، وأعمال تهدد ماء وجه المتكلم الإيجابي وتتجلى في" الاعتذار وقبول الإطراء والاعتراف وإظهار الحيرة والارتباك."[8]

وغير خاف أن تهديدات الوجه تتأرجح بين المتكلم والمستمع ولا تقف عند المتكلم فقط، ومن ثم فإن الطرفين يكونان حريصين على التقليل من تهديدات وجه الآخر، وفق ضوابط سياقية، تحددها طبيعة العلاقة بين طرفي عملية التواصل.

وقد بدت العوامل المحددة للعلاقة بين الطرفين في ثلاثة عوامل:" **درجة الخطورة**FAT، و"**المسافة الاجتماعية**" الموجودة بين المشاركين (عامل م) وعلاقة

"**السلطة**" بينهم **(عامل س) باعتبار أن** الآداب في ملفوظ يجب مبدئيًا أن تزيد في نفس الوقت الذي تزيد فيه س و م ووزن FAT"[9]

العلاقة بين التأدب وثلاثة العوامل طردية، فبزيادة درجة خطورة العمل أو منزلتهX، والمسافةD بين المتفاعلين (المتكلم Sوالمستمع H)، وبقوة السلطة P يزداد التأدب، ومن ثم يمكن حساب خطورة العمل W الذي يهدد ماء الوجه Rعلى النحو التالي:

"Wx=D(S,H)+P(H,S)+RX"[10]

ولضبط خطورة العمل الذي يهدد ماء الوجه وضع براون وليفنسن إستراتيجيات ضابطة لذلك، بدت في خمس إستراتيجيات تراتبية:

" أ–أن يمتنع المتكلم عن إيراد القول المهدد.

ب–أن يصرح بالقول المهدد من غير تعديل يخفف من جانبه التهديدي.

ج–أن يصرح بالقول المهدد مع تعديل يدفع عن المستمع الإضرار بوجه الدافع.

د–أن يصرح بالقول المهدد مع تعديل يدفع عن المستمع الإضرار بوجه الجالب.

هـ–أن يؤدى القول بطرق التعريض، تاركًا للمستمع أن يتخير أحد معانيه المحتملة."[11]

الإستراتيجيات تتنوع بين المنع والتهديد وحفظ ماء الوجه الإيجابي وحفظ ماء الوجه السلبي والإخفاء من خلال التعريض.

فالمتكلم يمتنع عن ذكر القول المهدد؛ لأنه يرى فيه خطرًا على المستمع، أو يدفع به مباشرة دون أن يعبأ بالمستمع وأثر الكلام عليه، ومن ثم فإنه يوظف كل تقنيات التهديد ووسائل الهجوم على المستمع؛ حتى يحقق غايته.

وإذا كان ماء الوجه الإيجابي يعكس "رغبة كل فرد في أن يكون مرغوبًا فيه على الأقل لبعض الآخرين"[12] وماء الوجه السلبي" رغبة كل فرد بالغ مؤهل أن يكون تصرفه دون عوائق من الآخرين" [13] فإن تحقيقهما ينبني على إستراتيجيات تعين المتكلم وتمكنه من مقاصده.

ولما كانت إستراتيجيات ماء الوجه الإيجابي تخلق إطارًا تقاربيًا تعاونيًا بين طرفي التواصل فإن المتكلم عليه إيجاد مساحة التقاطع أو المنطقة المشتركة مع المستمع. "ويتجلى ذلك التقاطع عبر الوسائل الصوتية مثل النبر والتنغيم واللغوية مثل التراكيب الجاذبة، وتفعيل دور المستمع ومشاركته في الحوار، واستخدام العبارات المشتركة بينهما، وإظهار جوانب الاتفاق، وتجنب مناطق الخلاف باستخدام المرققات اللغوية، والملطفات التي تفيد الترجيح والتخفيف من حدة الكلام، وتحافظ على ماء وجه السامع مثل(يمكن، ربما، أحيانًا، إلى حد ما....).[14]

وقد ذكر بهاء مزيد هذه الأساليب مبينًا بعض التعبيرات الدراجة التي تدخل في إطارها، قال:" وتشمل أساليب الإقدام أو المنح ما يلي: مراعاة حاجات الآخرين (لابد أنك جوعان)، والاستحسان والاهتمام والمبالغة فيهما كلما كان ذلك ممكنًا (ما أروع قصيدتك...) والتعبير عن الألفة من خلال الصيغ الدارجة، وتجنب الاختلاف والشقاق(... أنا أتفق مع ما تقول) وطلب الوفاق والاتفاق، بل افتراض وجودهما أحيانًا(سوف نلتقي غدًا أليس كذلك؟، وافتراض وجود أرضية أو خلفية مشتركة بين المتكلم والسامع(كما تعلم...وتعلمون أن)، والفكاهة، والمبادرة الكريمة والوعد بما يسر(أزورك غدًا إن شاء الله)، والتعبير عن الترابط والمشاركة(كيف حالنا اليوم؟، و"لا،إحنا النهاردة عال العال"...)، وتقديم المبررات والأعذار كلما لزم الأمر(لقد تأخرت..و"لابد أن أذهب الآن..")، والتعاطف (تبدو مرهقًا اليوم) والعطاء في مقابل الأخذ("أرد لك هذا الجميل يومًا"، و" هذا دين في عنقي."[15]

ولما كانت إستراتيجيات ماء الوجه السلبي تخلق سياقًا تفاعليًا ينأى عن الامتزاج بين الطرفين وعدم تقريب مساحة الالتقاء بينهما، فإن المتكلم عليه أن يكون مباشرًا في كلامه مع المستمع دون أن يلحق الأذى به أو يجرحه، وأن يوظف السؤال والملطفات في إنجاز عمله، وألا يجبره على الفعل، وإنما تترك له حرية الاختيار، وأن يخبره بعدم رغبته في حمله على إنجاز فعل ما، قال مزيد:" تشمل أساليب الإحجام أو الكف والمنع المواراة وتجنب المباشرة، ووضع الطلب في صورة التساؤل، والتعبير عن التمني واستخدام صيغ التوقير والاحترام، والاعتذار وطلب القبول، وتجنب صيغ الخطاب المباشر" أنا" و" أنت"، وتفضيل الصيغ المصدرية على الفعلية، واستخدام صيغ الجمع والماضي(أردت أن. وكنت أود أن)، والتخفيف (فقط أردت أن أسأل إذا كان من الممكن..)."[16]

ولا يعني ذلك وحدة التأدب بين المجتمعات والثقافات المختلفة حتى يبدو نمطًا واحدًا بآليات متشاكلة، وإنما يتباين من مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى إذ :"تعم ظاهرة التأدب جميع الثقافات، ولكن التعبير عنها يتخذ طرقًا شتى؛ مما أوحى إلى بعضهم أن تعلم الأدب وثيق الصلة باكتساب اللغة"[17] بل يتباين من جنس إلى آخر، فالتأدب عند النساء يختلف بنية وتوجهًا عن التأدب عند الرجال، فالنساء أكثر تأدبًا من الرجال كما قالت جانيت هولمز:" نعم النساء أكثر أدبًا من الرجال"[18]؛ ويرجع ذلك إلى التباين في استخدام اللغة وكذاك الهدف التواصلي،" فالنساء يعتبرن اللغة وسيلة مهمة لبقاء الاتصال لاسيما مع الأصدقاء، إنهن يستخدمن اللغة لتأسيس العلاقات الشخصية وتغذيتها وتطويرها، أما الرجال فيميلون إلى رؤية اللغة بوصفها أداة للحصول على المعلومات ونقلها، فهم يرون الحديث وسيلة لتحقيق غاية"[19] ومن ثم تسعى

النساء إلى تجسير العلاقة مع الآخرين بالتأثير التواصلي بينما يسعى الرجال إلى اليقين المعرفي المتعلق بالمضمون، وهذا من أسباب تواصل الرجال إذ" غالبًا ما تركز أسباب تكلم الرجال على محتوى الحديث أو إنتاجه بدلا من التركيز على كيفية تأثيره على مشاعر الآخر، بينما تؤكد المرأة على هذا الجانب، فالمرأة تكمل الآخر أكثر من الرجال، وهن يعتذرن أكثر من الرجال."[20]

يحد التأدب من النزاعات ويحدث توازنًا في المجتمع؛ انطلاقًا من العلاقة التهذيبية الفاعلة بين الأنا والآخر، بل يؤدي إلى تعديل الحياة كما قال شارودو:" التأدب يقوم بدور أساسي في تعديل المجتمع، ويسمح بالتوفيق بين المصالح المتلائمة في العموم، مصالح الأنا والآخر، والمحافظة على توازن نسبي وهش دائمًا بين جماعة الذات ومراعاة الآخر، وعلى هذا التوازن يقوم حسن اشتغال التفاعل"[21]

وعلى الرغم من هذا الدور الفاعل للتأدب في إحداث التوازن المجتمعي فإنه قد يوظف توظيفًا غير ملائم لاسيما في المجال السياسي والاقتصادي، "ففي مقابل الوظائف الإيجابية للتلطف نجد من يستخدم هذه الوسيلة للخداع السياسي والتجاري وستر الجرائم السياسية والعسكرية والتضليل والتشويه، ويوصف في أدبيات الموضوع بسوء استخدام تعابير التلطف"[22]؛إذ يستخدمه السياسيون والاقتصاديون بوصفه وسيلة من وسائل التمويه والتضليل والخداع.

وهل يعني ذلك أن يكون المتكلم في التأدب منافقًا متكلفًا أو يطمس الحقائق ويخفيها حتى تتعمق وسائل التواصل بين الأطراف؟

إن التأدب لا يعنى أن يطمس المتكلم الحقيقة أو يخاتل المستمع ويخادعه، وإنما يكون المدار على أن تصل الحقيقة في سياق تأدبي ينأى فيه عن العنف اللغوي أو إراقة ماء وجه المستمع، وهذا لا ينقص من قيمة المتكلم أو يحط من قدره تجاه المستمع أو المحاور، بل يعلي قدره عند الجمهور والآخر. ولعل هذا ما حدا بـ " طه عبدالرحمن

" إلى محاولة إرساء مبدأ الصدق التأدبي أو التصديق[23]، الذي ينبني فيه التأدب على الصدق؛ انطلاقًا من الأسس الإسلامية المعروفة؛ حتى يخرج الطرفان من دائرة النفاق والتملق والخداع.

-2- **السياق التأدبي لخطاب السادات:** خطاب السادات خطاب أعقب حرب انتصار بين عدوين ظاهري العداوة، فدرجة خطورة العمل جد كبيرة، والمسافة بينهما (المتكلم والمستمع) شاسعة، وقد تعلو سلطة المستمع على المتكلم بما يملكه أو يدعيه، هذا كله يفرض حضوره على الخطاب الذي انتظره العالم كله لا سيما أنه سيلقيه في محل العدو، ومن ثم كانت الرؤية تجاهه غائمة بين التهديد والوعيد والتحذير والتمويه والاستقطاب والمصالحة والمصارحة، ليخرج السادات بخطاب الكنسيت المشحون بالثقة والثبات والانفتاح على الآخر لإيجاد وشائج ترابطية؛ اتكاء على مقولته الشهيرة "إنني مستعد أن أذهب إلى بيتهم إلى الكنيست ذاته ومناقشتهم"[24].

السياق الخطابي يفرض سمات لغوية خاصة وقضايا محورية تتموقع تموقعًا مائزًا؛ فحفل الخطاب بكثير من القضايا الرئيسة التي انبجس منها محاور فرعية مهمة. فقضية فلسطين هي القضية الأثيلة في الصراع العربي الإسرائيلي، ودون حلها سيظل الصراع قائمًا، وأن المشكلة ليست مع مصر أو دول الجوار، وأنه لم يأت ليعقد سلامًا مع إسرائيل دون القضية الفلسطينية فهذا ليس واردًا في السياسة المصرية. وأن إسرائيل عليها أن تتخلى عن أحلام الغزو واستخدام القوة، وأن السلام هو الحل الأمثل لإسرائيل في وجودها بين العرب، فوجودهم وجود يحميه السلام، وأن العرب ليسوا في ضعف وأنهم لا قوة لهم، وقد أثبتت لهم الحرب الأخيرة وهن ذلك التصور.

إرسال هذه القضايا يحتاج إلى سياق لغوي خاص ينأى عن العنف والتهديد والهجوم، ويحقق الهدف المرتجى ويثبت قدرة المتحدث وكفايته في المواجهة، وهذه ثنائية قد تبدو ضدية فتحتاج إلى خطاب لغوي توازني.

تحدث السادات من منطلق التمكن والقوة؛ ولذا قال:" ولقد جئت إليكم على قدمين ثابتتين"[25] ومن ثم تتجلى الثنائية الجدلية (المصارحة والمصالحة) مع العدو، ليتوجه السادات بخطابه توجهًا مباينًا لتوجه خطاباته، فلم يكن خطابًا شعبويًا؛" إذ يغلب على خطابات السادات المنحى الشعبوي الخالص"[26] وإنما هو خطاب عالمي يريد السادات من خلاله استقطاب القوى العالمية، وكشف الحقائق أمام الشعوب وإظهار سوء النوايا أو حسنها، فان ماز خطابه بسمات لغوية خاصة جمعت بين الإقناع والتأدب والمصارحة، مع مراعاة ماء وجه الآخر حين اقتضى الأمر ذلك.

3- **التأدب الإيجابي في خطاب السادات:** تجلت الإستراتيجيات المؤثلة للتأدب الإيجابي في خطاب السادات في ثلاث إستراتيجيات ركيزة: المنطقة المشركة، التعاون التبادلي، تلبية رغبة المستمع، دشن بها السادات للتقارب بين طرفي الصراع، وهي إستراتيجيات كلية شكلت منحى جليًا في بناء الخطاب بتباين في التموضع؛ إذ إن التأدب الإيجابي" يعني استخدام لغة تستدعي الانتماء والأرض المشتركة"[27]

3-1**المنطقة المشتركة:** من وسائل التقريب بين المتفاعلين والحفاظ على ماء وجه الآخر البحث عن منطقة الاشتراك بينهما والابتعاد عن مناطق الخلاف، وهذا ما تبدى في خطاب السادات الذي ارتكز على المشترك العقدي بين طرفي الصراع، وربما يكون أس الخلاف بينهما.

إن الانتماء إلى جماعة واحدة يقرب المسافات، ويكسر حواجز التفرقة ولذا ابتدأ السادات خطابه مرتكزًا على تلك النقطة، قال: "وشاءت المقادير أن تجيء رحلتي إليكم رحلة السلام في يوم العيد الإسلامي الكبير عيد الأضحى المبارك، عيد التضحية

والنداء، حين أسلم إبراهيم – عليه السلام– جد العرب واليهود، حين أسلم أبونا إبراهيم أمره لله، وتوجه إليه بكل جوارحه، لا عن ضعف بل عن قوة روحية هائلة، وعن اختيار حر للتضحية بفلذة كبده، بدافع من إيمانه الراسخ الذي يتزعزع، بمثل عليا تعطي الحياة مغزى عميقًا".[28]

فالمرسل والمستقبل/العدو ينتهيان إلى نسب واحد، فجدهم واحد ومن ثم إن اختلفت الرؤى والتوجهات فإن المنبع واحد، والالتقاء في منطقة التقارب يجب أن يكون واحدًا. وربما يؤشر السادات إلى أن إبراهيم هو جد العرب كما هو جد اليهود، فلا صحة للزعم بأن أرض فلسطين منحت لهم؛ استنادًا لآية سفر التكوين..(لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات)[29]، فإن العرب واليهود نسل إبراهيم عليه السلام.

ويمتد الالتقاء لا من خلال النسل وإنما من خلال المكان الذي يجمع العرب والنصارى واليهود، قال:" القدس التي حضرت إليها باعتبارها مدينة السلام، التي كانت وسوف تظل على الدوام التجسيد الحي للتعايش بين المؤمنين بالديانات الثلاث"[30]

مكان التلاقي للشرائع السماوية القدس، ومن ثم فهي منطقة التقاطع والاشتراك بين الجميع، المسلمين والمسيحيين واليهود، وهذا ما أراد السادات توكيده؛ حتى يجلي نقاط التلاقي. وقد بدا هذا جليًا في قوله: " كلنا على هذه الأرض، أرض الله، كلنا (مسلمون ومسيحيون ويهود) كلنا نعبد الله ولا نشرك به أحدًا وتعاليم الله ووصاياه هي حب وصدق وطهارة وسلام"[31]

عدل السادات عن القول بأن الدين الإسلامي هو الخاتم الذي أرسل الله به نبيه محمد صلي الله عليه وسلم إلى القول الذي يطوي المسافات بينهم، وهو أن المسلمين والمسيحيين واليهود يعبدون الله، ولا يشركون به أحدًا، فإن افترقوا في الفروع، فإن الأصل واحد، وهو عبادة الله وحده، فهذه الأرض أرض الله.

ويجمع السادات بين المسلمين والمسيحيين من خلال دور العبادة الموجود في فلسطين، وهي شاهدة على حضورهم الدائم المشترك في هذا المكان، قال: "إن دور العبادة الإسلامية والمسيحية ليست مجرد أماكن لأداء الفرائض والشعائر، بل إنها تقوم شاهد صدق على وجودنا الذي لم ينقطع في هذا في هذا المكان سياسيًا وروحيًا وفكريًا"(32).

3-2 **التعاون التبادلي:** لابد أن يكون هناك تقبل من الطرفين للتعاون، لا سيما من المتكلم الذي يرسل مرسلة للمخاطب تفتح له أفق التعاون بينهما ورغبته الملحة في تعاونه،" وهذا من شأنه أن يخلق في السامع شعورًا بأن أهدافه لا تتعارض وأهداف المتكلم"(33)، ويتجلى ذلك من خلال سمات لغوية يبثها المتكلم في خطابه، ولعل أبرزها : الضمائر التشاركية، وقطع الوعود، والمبررات والحجج.

3-2-1**الضمائر التشاركية/نحن الجامعة:** الضمير المنفصل "نحن" الجامع بين أطراف الحوار يؤشر إلى رغبة في التعاون بين الطرفين، وعدم استحواذ أحدهما عل مبتغاه دون الآخر، وهذا يقلل من مساحة النزاع بينهما، ويمحو البعد الأنوي الذي يفرض نفسه على الحوار بين الأطراف لا سيما المتنازعة. وقد بدا الضمير الجامع في خطاب السادات سمة لغوية بارزة لإبراز التعاون بينه وبين الخصم-كما يقول-سواء أكان باستخدام (نحن) أم (نا) الفاعلين.

ارتكز السادات على تفعيل التعاون بين مصر – العرب-وإسرائيل مفتتحًا هذا التعاون بنبذ صور التعصب الفوقية، التي يبني عليها الطرف الآخر كيانه، قال:" ويجب أن

نرتفع جميعًا فوق صور التعصب، وفوق خداع النفس، وفوق نظريات التفوق البالية".[34] فعلى الرغم من أنه يدرك أن الخطاب موجه إلى المتكلم وأن القصدية منسحبة عليه فإنه أدخل طرفي الحوار فيما يريد وكأنهما يندرجان في هذه الصورة المرسومة؛ مما يجذر للتأدب وحفظ ماء وجه الآخر، وكأن التعصب قد يكون قاسمًا مشتركًا، ومن ثم لابد من تعاون تبادلي.

أشرك السادات المخاطَب–الخصم/العدو–في إنجاز العمل المرجو وتقريب المسافات بينهما، فوظف أفعال الاستقبال المنبنية على نحن، قال: "يرتبط بهذا أنني لم أجئ إليكم لكي نتفق على فض اشتباك ثالث في سيناء، أو في سيناء والجولان والضفة الغربية، فإن هذا يعني أننا نؤجل فقط اشتعال الفتيل إلى أي وقت مقبل، بل هو يعني أيضًا أننا نفتقد شجاعة مواجهة السلام، وأننا أضعف من أن نتحمل أعباء السلام الدائم العادل ومسؤولياته. لقد جئت إليكم لكي نبني السلام معًا السلام الدائم العادل؛ حتى لا تراق نقطة دم أي الطرفين."[35]

(نتفق/نؤجل/نفتقد/نتحمل/نبني) أفعال تشاركية واضحة، لا تتحقق إلا بطرفي الحوار، ومن ثم جعل السادات نحن الجامعة مؤثلة لذلك التعاون، الذي يفك شفرة الإشكالية المتجذرة بين طرفي النزاع، فهي أفعال لا تتبني على سلطة ذاتية وإنما ترنو إلى تحقيق منحى قيمي يرجوه المتكلم.

يؤكد السادات ذلك من مبتغى الزيارة والحوار مع العدو، إذ إن السلام مرهون بتعاون الطرفين، قال:" قررت أن أحضر إليكم، بعقل مفتوح وقلب مفتوح وإرادة واعية؛ لكي نقيم السلام الدائم، القائم على العدل"[36] وفي قوله القائم على المساءلة:" دعونا

نتصارح، ونحن نجيب عن السؤال الكبير: كيف يمكن أن نحقق السلام الدائم العادل؟"[37]

يحاول السادات أن يحقق الافتراضات المسبقة، المرتكزة على التعاون في إقامة السلام العادل، ويظهر المعطيات التي يبني عليها ذلك التعاون، وهذا أس العملية التواصلية، فإذا كان " كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواه ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة."([38])

وتأتي (نا الفاعلين) عند السادات مرتبطة بإنتاج مثير واضح، محفز للمخاطب على التعاون والإنجاز، قال:" من أجل أن نحمي حياة أبنائنا وأخواتنا جميعًا، من أجل أن تنتج مجتمعاتنا وهي آمنة مطمئنة، من أجل تطور الإنسان وإسعاده وإعطائه حقه في الحياة الكريمة، من أجل مسؤوليتنا أمام الأجيال المقبلة، من أجل بسمة كل طفل يولد على أرضنا"[39]

تبدي (نا) الفاعلين بإسنادها إلى مثيرات التعاون ومحفزاته (الأبناء الأخوات المجتمع الأرض) رغبة من السادات أن ينجز المخاطب/ إسرائيل العمل المراد منه، ولا يتأتى ذلك إلا بتعاونهما؛ ومن ثم أسند السادات المسؤولية إليهما معا مبرزًا الانعكاسات الإيجابية على المجتمعين.

3-2-2**قطع الوعود:** من مؤشرات التعاون بين الطرفين قطع الوعود من المتكلم للمخاطب، ويقينه بتنفيذ تلك الوعود. وقد بدا ذلك واضحًا في خطاب الكنيست؛ إذ إن السادات قطع وعدًا للمخاطب بحلول السلام تجاهه، وقد تكرر وعده وارتكز عليه في مواضع متباينة، فنجده يقول:" أنتم تريدون العيش معنا في هذه المنطقة من العالم، وأنا أقول لكم بكل الإخلاص، **إننا نرحب بكم بيننا بكل الأمن والأمان**"[40]

الوعد يرسل مرسلة لطمأنة المتكلم، ومن ثم فإنه يُقبل على التعاون لإنجاز فحوى تلك المرسلة والتمسك بها لا سيما أنها محور القضية والصراع، ومبتغى ما يريده، الوجود المرحب به. ولا يقف السادات عند هذا الترحيب بالمخاطب، وإنما يؤكد الوعد بالقبول جزءًا من المكان من خلال العيش بيننا، وهذا آكد للوعد وأدعى إلى تفاعل المخاطب معه، قال:" أقول لكم اليوم، وأعلن للعام كله، **إننا نقبل بالعيش معكم في سلام دائم عادل**، ولا نريد أن نحيطكم أو تحيطونا بالصواريخ المستعدة للتدمير، أو بقذائف الأحقاد والكراهية"[41]. فهذا وعد معلن واضح للمخاطب بالتعاون معه، بل يؤكد السادات له أن هذا الوعد محاط بالضمانات التي يرجوها الآخر، قال:" أعود فأعلن بكل الوضوح **أننا قابلون بأي ضمانات**؛ لأننا في المقابل سنأخذ نفس الضمانات."([42])

ولما أراد السادات أن يحسم التعاون مع المخاطب بين المراد بالسلام في سياقه الملائم للآخر، قال: "ما هو السلام بالنسبة لإسرائيل؟ يكون الرد هو **أن تعيش إسرائيل في حدودها مع جيرانها العرب في أمن وأمان**، وفي إطار كل ما ترتضيه من ضمانات يحصل عليها الطرف الآخر"[43]

تراتبية الوعد الحافز للتعاون بين الطرفين ابتداء بالاستعداد فالترحيب فالقبول بالعيش فقبول الضمانات فالعيش مع الجيران يعكس الحبك المعنوي للطرح، ورغبة واضحة في مشاركة المخاطب للمتكلم في أن يحب المخاطب ما يحب المتكلم، وهذا هو جوهر ماء الوجه الإيجابي" الذي يكمن في توق كل فرد إلى أن يحب الآخرون ما تحبه نفسه وترغب فيه"([44]) والسادات كان يرغب في تحقيق السلام مع إسرائيل وأن تشاركه إسرائيل تلك الرغبة بأسلوب تأدبي واضح.

ولعل المفتتح الخطابي الذي تضمن وعدًا ضمنيًا يعكس ذلك؛ إذ أكد عربية الأرض ووجود إسرائيل فيها، فقال بعد التسليم مباشرة: "السلام لنا جميعًا، على الأرض العربية وفي إسرائيل"[45] فهذا اعتراف ضمني من السادات بالوجود الإسرائيلي في الأرض العربية، فطرح بذلك حقيقة القضية وجوهرها من أحقية العرب في الأرض والاعتراف بإسرائيل فيها.

وقد يرتبط بقطع الوعود التفاؤل في إنجاز العمل من قبل المتكلم، وكان هذا ابتداء بإلقاء تحية الإسلام، قال:" السلام عليكم ورحمة الله، والسلام لنا جميعًا، **بإذن الله**"[46]. يؤمل السادات ابتداء في أن يحل السلام بتقديمه للإذن الإلهي، والإذن الإلهي مؤشر على تفاؤل السادات ورجائه بتحقق السلام، وهو ما أكده بقوله:" وأنا أؤدي صلاة العيد في المسجد الأقصى، وأنا أزور كنيسة القيامة، توجهت إلى الله – سبحانه وتعالى – بالدعاء أن يلهمني الله القوة، وأن يؤكد يقين إيماني بأن تحقق هذه الزيارة أهدافها التي أرجوها؛ من أجل حاضر سعيد ومستقبل أكثر سعادة"[47].

يبين هذا صدق نيته في إنجاز العمل، وهو ما يدفع بالمستمع إلى المشاركة أيضًا في إنجازه وأن يكون طرفًا فاعلا فيه، لا سيما أن إنجاز العمل يرتبط بالسمات التأدبية المستخدمة؛ بل" نجاح أو عدم نجاح كل قوة إنجازية يبقى مرتبطًا بنوعية الفعل القولي، ومدى توافر السمات التأديبية التي من شأنها أن تحقق الفعل التأثيري، وبالتالي الفعل الإنجازي المقصود."[48]

يوظف السادات التعبيرات التفاؤلية لتبدو سمة تأدبية بارزة في إنجاز ما يصبو إليه. ولا تقف عنده بل يوجهها إلى الآخر لتكون جزءًا منه ويكون جزءًا منها، قال مبشرًا الآخر:" بشروا أبناءكم أن ما مضى هو آخر الحروب ونهاية الآلام، وأن ما هو قادم هو البداية الجديدة للحياة الجديدة، حياة الحب والخير والحرية والسلام"[49]. إن السادات لم يقف عند حدود الطرف المحاور أو الفئة السياسية الخاصة أو المتلفظ المشارك

النموذجي المثالي، وإنما تجاوز ذلك إلى المشارك المتلفظ الفعلي (الجمهور)، الذي قد يؤثر على المشارك الفعلي في إنجاز الفعل، فالسادات كان على وعي بطبيعة المتلفظ المشارك ومن ثم وجه إليه إشاراته الخاصة؛ لأنه يختلف عن المتلفظ النموذجي، إذ يجب أن يميز المتكلم بين هذين النوعين من المتلفظين، كما قال شارودو:" كما نميز بين المتلفظ المشارك النموذجي (أو المثالي) والمتلفظ الفعلي (الجمهور)، فلكي يقدم على التلفظ، يجب على المتكلم في الواقع أن يبني لنفسه تصورًا للمتلفظ المشارك النموذجي(المزود بمعرفة حول العالم وبعض الأحكام السابقة)"[50]

يلح السادات على التمسك بالأمل وأن يشاركه المتلفظان (النموذجي والفعلي) ويتعاونان في إنجاز العمل فيقول:" املؤوا الأرض والفضاء بتسابيح السلام. املؤوا الصدور والقلوب بآمال السلام. اجعلوا الأنشودة حقيقة تعيش وتثمر. اجعلوا الأمل دستور عمل ونضال"[51].

قدرة التعبيرات المجازية المسبوكة مجذرة لمراد السادات التفاؤلي بتحقيق السلام، فيعم الأرض ويتلاحم معهم ليكون جزءًا من تكوينهم ومنهجًا يرسم لهم سبيل حياتهم. وهذه التعبيرات لم ترد من قبيل التزيين والتحسين أو التمويه اللفظي، وإنما أرسلها السادات لتمكينها من قلوب المخاطبين استعطافًا وعقولهم إقناعًا.

ولعل هذا المنحى الساداتي ما دفعه إلى أن يوظف قول سليمان في توكيد توجهه التفاؤلي فاستعان بقوله: "الغش في قلب الذين يفكرون في الشر، أما المبشرون بالسلام فلهم فرح. لقمة يابسة ومعها سلامة خير من بيت مليء بالذبائح مع الخصام"[52].

يريد السادات التشارك الفعلي للمخاطبين في بناء التفاؤل والفرح بتحفيزهم بقول سليمان عليه السلام الباعث على السلام والمبشر به؛ لما له من تأثير في نفوسهم، فالسادات سيتحقق له الفرح؛ انطلاقًا من القياس المنطقي، الذي اعتمده بقول سليمان:

مقدمة كبرى المبشرون بالسلام لهم الفرح

مقدمة صغرى السادات مبشر بالسلام

النتيجة السادات له الفرح

والفرح هنا ليس ذاتيًا وإنما عام يشمل كل المخاطبين الذين يريد السادات مشاركته في التبشير بالسلام. ويؤكد السادات ذلك بالعلاقة العكسية لقمة عيش وسلام خير من خصام وذبائح وهو القول العاقب لقول سليمان بالتبشير بالفرح. وهذه دعوة من السادات لأن يختار المخاطب بنفسه من طريق العقل لا من طريق الجبر والفرض.

3-2-3**المبررات والحجج:** لعل التعليل هو أهم مبررات السادات التي ألقاها إلى المخاطبين لإنجاز الفعل ومحاولة مشاركة الآخر له في ذلك من خلال إيراد العلل والحجج لمشاركته والتعاون معه. وقد جمع التعليل الساداتي بين منطقية القبول وعاطفية التوجه، فيذكر الأسباب التي دفعته لذلك، وهو أس التبرير " أي ذكر الأسباب التي تبيح الشيء وتجوزه وتسوغه من الناحيتين المنطقية والأخلاقية؛ ولذلك قيل إن التبرير هو ما يبين به المرء وجهة نظره في تصرف أو رأي معترض عليه"([53])، فالحرب لا ترتضيها الشعوب ولا تقبلها، ربما يفضلها السياسيون؛ لتحقيق مصالح ذاتية، وهذا ما حدا به أن يبرر فعله، قال عن الحرب:" إنني أريد أن أجنب كل الشعب العربي ويلات حروب جديدة مفجعة، فإنني أعلن أمامكم- بكل صدق- أنني أحمل نفس المشاعر وأحمل نفس المسؤولية لكل إنسان في العالم وبالتأكيد الشعب الإسرائيلي"[(54)]

يبرر السادات إقباله على السلام ورغبته في إنجازه من الآخر، فالحرب لها ويلات مفجعة للناس كافة، وهذا ما لا ينكره أحد أو يعترض عليه. ولم يكتف السادات بذلك وإنما عمد إلى الاستدلال لهذا فقال: "إن الأطفال الأبرياء الذين يفقدون رعاية الآباء وعطفهم هم أطفالنا جميعًا على أرض العرب أو في إسرائيل على السواء، لهم علينا المسؤولية الكبرى أن نوفر لهم الحاضر الهادئ والغد الجميل"[55]

اعتمد السادات هنا على الأثر البارز للحرب بفقد الآباء وتيتيم الأبناء وترميل النساء سواء أكان من العرب أم إسرائيل، والاتكاء على الأثر هو جوهر الاستدلال الذي يقوم على" تقرير الدليل لإثبات المدلول سواء أكان ذلك من الأثر إلى المؤثر فيسمى استدلالا إنيًا أو بالعكس ويسمى استدلالا لميًا أو من أحد الأثرين إلى الآخر"[56]

ولما كان السادات في وضع لا يريد أن يظهر فيه استجداء للسلام فإنه لم يكثر من الحجج والمبررات لإنجاز هدفه، بيد أنه ذكر حجة رئيسة فاعلة تخدم صلب القضية وهي قضية احتلال أرض فلسطين، قال:" إن السلام لن يكون اسمًا على مسمى، ما لم يكن قائمًا على العدالة، وليس على احتلال أرض الغير، ولا يسوغ أن تطلبوا لأنفسكم ما تنكرونه على غيركم"[57].

يتكئ السادات هنا على الحجة القائمة على العلاقة التبادلية بإرساء قاعدة العدل، وهي إحدى حجج الإقناع التي أشار إليها بيرلمان وتيتكاه في البنى المنطقية" وتتمثل هذه الحجج في معالجة وضعيتين إحداهما بسبيل من الأخرى معالجة واحدة، وهو ما يعني أن تينك الوضعيتين متماثلتان وإن بطريقة غير مباشرة. وتماثلها ضروري لتطبيق

قاعدة العدل. وقاعدة العدل هي تلك القاعدة التي تقتضي معاملة واحدة لكائنات أو وضعيات داخلة في مقولة واحدة"[58].

يضع السادات الآخر الوضع الذي يفرض عليه الاعتراف بطرحه، من خلال قاعدة العدل التي لا يجد الخصم مفرًا من الاعتراف بها؛ إذ لا يمكن أن يفعل ما يرفضه من الآخر، ولا يرفض ما يفعله هو. إن السادات يدينهم من قولهم الذي لا يطابق فعلهم.

4- **التأدب السلبي في خطاب السادات:** لم يخل خطاب السادات من التأدب السلبي الذي أراغ به ألا يجد ما يعوق هدفه أحد مراعيًا احترام الآخر، ومن ثم وظف آلياته التي أتت مضفرة مع آليات التأدب الإيجابي التي أشرت إليها آنفًا؛ ليجمع بين إشراك الآخر في إنجاز الفعل وإماطة معوقات إنجازه. وقد بدت أبرز آليات التأدب السلبي في المباشرة والتخفيف والسؤال والتلطف والتعبيرات التأدبية التلطفية.

4-1**المباشرة والتخفيف:** المباشرة لا تعني العنف اللغوي أو إراقة ماء وجه الآخر، وإنما "على المتكلم أن ينجز عمله بالطريقة التي لا تلحق الأذى بالمستمع أو تريق ماء وجهه"[59] فيخفف من مباشرته الحادة.

ولما كان سياق الخطاب الساداتي يفرض المواجهة المباشرة أحيانًا فإن السادات لجأ إلى تخفيف تلك المباشرة بالاستدراك عليها، قال:" لقد كنا نرفضكم، وكانت لنا أسبابنا ودعوانا. نعم. لقد كنا نرفض الاجتماع بكم في أي مكان. نعم. لقد كنا نصفكم بإسرائيل المزعومة. نعم. لقد كانت تجمعنا المؤتمرات أو المنظمات الدولية وكان ممثلونا، ولا يزالون، لا يتبادلون التحية والسلام. نعم. حدث ذلك ولا يزال يحدث. لقد كنا نشترط لأي مباحثات وسيطًا يلتقي بكل طرف على انفراد. نعم. هكذا تمت مباحثات فض الاشتباك الأول، وهكذا تمت مباحثات فض الاشتباك الثاني. كما أن ممثلينا التقوا بكم دون تبادل كلمة مباشرة. نعم هذا حدث. **ولكنني** أقول لكم اليوم وأعلن للعالم كله إننا نقبل بالعيش معكم في سلام دائم وعادل"[60]

جلي أن السادات اعتمد المباشرة القولية والصراحة الموسعة للمسافات تجاه الآخر، بيد أنه خفف تلك المباشرة المريقة لماء الوجه باستخدامه للاستدراك ب (لكن)، التي يعقبها ما يدحض ما قبلها ويهدمه، فإن ما قبلها يخدم قضية واحدة وهي الرفض المطلق لإسرائيل، وما بعدها يبني قضية واحدة تعارض الأولى وهي قبول إسرائيل، ومن ثم فإن ما بعدها أقوى مما قبلها وهي المؤسس الذي يريده السادات ويخفف من إراقة ماء وجه الآخر في الآن ذاته.

4-2السؤال والتلطف: قد يكون السؤال أداة من الأدوات التي توظف للترقيق والتخفيف، فلا يعطي الطرح أو المعنى بقوة الجزم الملزمة للآخر أو الإجبار وإنما بصيغة السؤال المخففة، إذ "كل مخاطبة وكل قول يخاطب به الإنسان غيره فهو إما يقتضي به شيئًا ما وإما يعطيه به شيئًا ما. والذي يعطي به الإنسان غيره شيئًا ما فهو قول جازم إما إيجاب وإما سلب"[61] وبدا هذا جليا في قوله تعالى: "قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا"[62] فهذا سؤال لم يكن فيه إجبار أو جزم، ومن ثم كان من باب التلطف والتأدب، كما ذكر ابن كثير فقال:" هل أتبعك سؤال تلطفا على وجه الإلزام والإجبار "[63]

فسؤال التلطف يخفف فيه السائل من وقع القضية المتضمنة على المسئول، فيحصل على الإجابة المرجوة أو المعرفة المحددة التي يرغب فيها، فهو سؤال" يعمد فيه المتكلم للتخفيف من درجة مسئوليته تجاه المحتوى القضوي ولإضعاف القوة المتضمنة فيه."[64]

وقد بدا أن السادات استخدم ذلك النوع من الاستفهام للحصول على مقصده دون إجبار أو إلزام المسئول على المطروح، بل بحثه ودفعه إلى الإنجاز، قال:" **لماذا** لا نمد

أيدينا بصدق وإيمان وإخلاص لكي نحطم هذا الحاجز معًا؟ **لماذا** لا تتفق إرادتنا بصدق وإيمان وإخلاص، لكي نزيل معًا كل شكوك الخوف والغدر والتواء المقاصد وإخفاء حقائق النوايا؟ **لماذا** لا نتصدى معًا بشجاعة الرجال، وبجسارة الأبطال الذين يهبون حياتهم لهدف أسمى؟ **لماذا** لا نتصدى معًا بهذه الشجاعة وتلك الجسارة لكي نقيم صرحًا شامخًا للسلام يحمي ولا يهدد يشع لأجيالنا القادمة أضواء الرسالة الإنسانية نحو البناء والتطور ورفعة الإنسان؟ **لماذا** نورث هذه الأجيال نتائج سفك الدماء، وإزهاق الأرواح وتيتيم الأطفال وترمل الزوجات، وهدم الأسر وأنين الضحايا؟ **لماذا** لا نؤمن بحكمة الخالق التي أوردها في أمثال سليمان الحكيم....؟ **لماذا** لا نردد معًا من مزامير داوود النبي؟"(65)

البادي أن الأسئلة لم تكن من باب الاستعطاف والاسترجاء أو التمني وإنما هي أسئلة تلطفية تقريبية متتابعة، تبحث عن إيجاد الوسائل التواصلية التقريبية بين الطرفين، ومن ثم لم يركز السادات على الكيفية أو التخيير، وإنما على علة عدم وجود التقارب بينهما والاتفاق، والتصدي باستخدام **(لماذا)** التي تندرج في إطار حروف العلة، ف" أصناف الحروف التي تطلب بها أسباب وجود الشيء وعلله على ما يظهر ثلاثة: لماذا وجوده، وبماذا وجوده، وعن ماذا وجوده."(66)

لم يسأل السادات عن علة وجود تلك الأطروحات، وإنما يسأل عن علة عدم الوجود، وهو ما يغير المسار الاستفهامي، من التصريح إلى التلطف، إذ عدل عن قوله" لماذا يبقى هذا الجدار بيننا؟" لماذا نقف دون التصدي لذلك" فيكون السؤال عن علة الوجود، أما السادات فقد استخدم هذه الأسئلة على التوسع؛ لاستثارة المسئول واجتذابه إلى إنجاز مراده، ومن ثم كان أنجع في طرح أسئلته على هذه الطريقة.

سبعة الأسئلة تستجذب المسئول بلطف إلى إقرار ما يهدف إليه السادات، من خلال بنية لغوية ثابتة متكررة (أداة استفهام/حرف النفي/الفعل)، (لماذا لا نمد/ لماذا لا تتفق/

لماذا لا نتصدى/ لماذا لا نتصدى/لماذا نورث/ لماذا لا نؤمن/ لماذا لا نردد)؛ ليخرج السؤال عن مساره الحقيقي وهو الإجابة بلأن، الذي يشترك فيه لم ولماذا؛ إذ إن "حرف لم هو حرف سؤال يطلب به سبب وجود الشيء أو سبب وجود الشيء لشيء. وهو مركب من اللام وما كأنه قيل لماذا؟ وهذا السؤال إنما يكون فيما قد علم وجوده وصدقه أولا إما بنفسه وإما بالقياس"[67] ليستلب الإقرار والتأييد من الآخر، وهو ما يعكس هدف السادات الرئيس في إنجاز هدفه بتحقق السلام، باطلاع العالم والشعب الإسرائيلي بجلاء على حقيقة توجهه.

إن السادات بهذه الأسئلة لا يفترض أن المخاطب لديه الرغبة في إنجاز هدفه، ومن ثم تتموضع الأسئلة لتحد من تحمله لمسئولية هذا الطرح –السلام العادل–الذي يريد الآخر إنجازه معه.

وقد ركز السادات على إجلاء القضية المحورية من خلال السؤال الذي يبين به ماهيتها وذلك أيضًا دون إجبار الآخر أو افتراض رغبته القوية في مشاركته، قال: "دعونا نتصارح، ونحن نجيب عن السؤال الكبير: كيف يمكن أن نحقق السلام الدائم العادل؟" ويكرر السؤال نفسه عند الإجابة فيقول:" وهنا أعود إلى الإجابة عن السؤال الكبير: كيف نحقق السلام الدائم العادل؟"[68]

لم يرد السادات أن يطرح الحلول مباشرة أو يقرر وقائع وإنما جعل السؤال أداته لذلك، فجعله السؤال الكبير؟ فتصل الأطروحة إلى الآخر عن طريق التصور للسلام بكيفيته، ومن ثم لا تقرير أو تأكيد منه وإنما هو تصور لتحقيقه، ومن ثم كان السؤال بكيف عن الهيئة والطريقة التي يتحقق بها.

السؤال يعمل على تقليل مساحة الاختلاف بين الطرفين لا على توسيعها، من خلال التركيز على مواطن الاتفاق بينهما لا الافتراق، وهو ما يبدو متلائمًا مع سؤال الماهية الذي طرحه السادات أيضا عن السلام، قال: "ما هو السلام بالنسبة لإسرائيل؟"[69] السؤال يرسل طمأنة للآخر؛ لأنه يعكس به ماهية السلام، وليس السلام على إطلاقه، وإنما السلام الخاص بإسرائيل، فكان الاستفهام بما " وما تطلب معرفة ذات الشيء أي ماهيته حتى يمكن تصوره"[70]؛ ومن ثم يطرح رؤيته من خلال إجابته البرهانية التي تقنع المخاطب وتحقق بغيته، لاسيما أنه استخدم الحرف ما، و" وإذا تأملنا هذا الحرف مليًا سنجد أن الأمكنة التي يتحرك فيها والأجوبة التي يجاب بها لاقتضائه، تنحاز كلها إلى القول البرهاني"[71] قال مجيبًا:" أن تعيش في المنطقة، مع جيرانها العرب، في أمن واطمئنان، هذا منطق أقول له: نعم. أن تعيش إسرائيل في حدود آمنه من أي عدو، هذا منطق أقول له: نعم. أن تحصل إسرائيل على كل أنواع الضمانات التي تؤمن لها هاتين الحقيقتين، هذا مطلب أقول له: نعم."[72]

هذا ما يرجوه الآخر وهو العيش في أمان مع الجيران، ومن ثم تحل إجابة السادات محل القبول والاقتناع منه، فينجز عمل السادات، ويجتذب الآخر إلى مشاركته في إنجازه.

إن السؤال هنا يرسل طرح المتكلم من خلال إشراك المستمع في بناء التصور والوقوف عليه تفسيرًا ووضوحًا ورفضًا وقبولا، فيضعه في حيز الاختيار والمكاشفة، وليس من خلال المباشرة في الطرح.

4-3**التعبيرات التأدبية التلطفية:** ممهدات لغوية، قد لا تحمل رسالة بقدر ما توطئ لها، فهي تزيل العداوة والنزاع بين الأطراف، وتفعل روابط التواصل بينهما، فتخفف من محتوى الرسالة الذي قد يكون قاسيًا أو مؤلمًا للآخر. ويندرج في الملطفات عبارات التحيات، التي تأتي من باب التودد، أو الواجب الاجتماعي" فالفرض الأساسي من هذه

التحيات وأمثالها أنها تسلك المتخاطبين في علاقة اجتماعية، وأنها واجب اجتماعي لا مفر من أدائه، وأن الاستهانة به أو التفريط فيه قد يكون غايته الإسراف في التودد والمبالغة في الترهيب والاستماع بالصحبة والتلاقي، وقد يكون ستارًا يخفي المشاعر الحقيقية لأحد المتخاصمين أو كليهما."[73]

وقد افتتح السادات خطابه بالتحية الواجبة عند المسلمين" **السلام عليكم ورحمة الله**" وهنا تحمل التحية رسالة على غير المعلوم؛ فليست مجرد واجب اجتماعي؛ لأنها تلقى إلى من لا يعرف هذه التحية وليست من واجباته، ومن ثم فهي رابط تودد بين الطرفين، وموطئ للرسالة التي قد تطرح ما لا يقبله الآخر ومخفف في الآن ذاته؛ إذ إن السادات جعل هذا الخطاب رسالة يحملها من شعب مصر إلى الشعب الإسرائيلي و المسئولين به، قال:" إنني أحمل إليكم رسالة من شعب مصر– الذي يبارك هذه الرسالة المقدسة من أجل السلام– أحمل إليكم رسالة السلام رسالة شعب مصر" [74] ومن ثم فإن السادات هو حامل الرسالة كما أكد بقوله:" فإنني أعلن أمامكم، أنني لم أفكر في القيام بهذه المبادرة من منطلق ما يمكن تحققه أثناء الزيارة، وإنما جئت هنا كي أبلغ رسالة. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد"[75]، وبالتالي عليه أن يوظف التعبيرات التأدبية في التخفيف من عبء الرسالة، فكانت التحية الإسلامية ابتداء ملطفًا تعبيريًا لما سيطرحه السادات.

وتجلت التعبيرات التأدبية في خطاب السادات في ثلاثة تعبيرات" اسمحوا لي" و"إذا سمحتم لي" و" لا أخفي عليكم". وقد جاء تعبيره" اسمحوا لي" سابقًا لإلقاء تحية الإسلام، قال:" **اسمحوا لي أولا** أن أتوجه إلى السيد رئيس الكنيست بالشكر الخاص؛ لإتاحته هذه الفرصة، لكي أتحدث إليكم"[76]

لا شك أن التعبير يأتي من باب التأدب والتلطف مع الآخر، لا سيما أن السادات يمكن أن يعدل عنه دون إخلال بالمعنى، فيقول:" في البدء أوجه الشكر الخاص إلى السيد رئيس الكنيست" بيد أنه استخدم التعبير التأدبي الدارج، الذي قد لا يحمل فكرة مباشرة بقدر ما يحمل منحى تقريبيًا بين الأطراف ينشئ الاحترام؛ إذ " لو جاز أن الكلام في بعض استعمالاته تعبير عن الفكر فإنه ليس كذلك في جميع استعمالاته أو في معظمها، فليس ثمة توصيل للأفكار أو تعبير عن أفكار في لغة التحيات ولغة التأدب ولغة التدريب السياسي والعسكري."(77).

وإذا كان التعبير الأول تموضع مفتتحًا فإن التعبير الثاني "**وإذا سمحتم لي**" تموضع مختتمًا، ليستخدمه السادات بعد عرضه لمجموعة من الحقائق القاسية تجاه الإسرائيليين تتعلق بحقيقة وجودهم، وحقوق الشعب الفلسطيني، وضرورة إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأرض العربية، قال: " **وإذا سمحتم لي** أن أتوجه بندائي من هذا المنبر إلى شعب إسرائيل، فإنني أتوجه بالكلمة الصادقة الخالصة، إلى كل رجل وامرأة في إسرائيل."(78)

والبادي أنه لا رابط بين التعبير التأدبي وما يلقيه؛ لأن المخاطَب ليس في موضع السماح له أو عدمه، فهما ندان / خصمان، فله الحرية في التعبير كيفما شاء، ومن ثم يندرج هذا التعبير تلقائيًا في إطار التودد والمدارة والتلطف بعد الطرح المباشر للقضايا. إن السادات على وعي بما تتركه تلك التعبيرات من تأثير في نفس المخاطب المباشر خاصة وغير المباشر عامة، وأن اختيار الكلمة له دور في تأسيس العلاقات أو هدمها.

ولعل هذا ما دفعه لأن يفعل تعبير الود والتأدب في قوله:" **ولا أخفي عليكم** أن أحد مساعدي في مكتب رئيس الجمهورية، اتصل بي ساعة متأخرة من الليل، بعد عودتي إلى بيتي من مجلس الشعب، ليسألني في قلق: وماذا تفعل لو وجهت إليك إسرائيل الدعوة فعلا؟ أجبته بكل هدوء: سأقبلها على الفور."(79)

إن "**لا أخفي عليكم**" تعبير لا يكون إلا بين المتآلفين والمتوادين، ومن ثم اتخذه السادات معبرًا يفسر به اتخاذ قرار الذهاب لإسرائيل، ويوضح أبعاد القرار على الآخرين، فلم يأت به في إطار طرح قضية فيخفف وقعها وتأثيرها، وإنما في إطار التمهيد للطرح، كأن السادات يقرب المسافات بينه وبين الآخر ويطويها، فإذا كان وسع الفجوة في خطابه أحيانًا، فإنه أذابها أو ربما قصد إذابتها باستخدامه لتلك التعبيرات التأدبية التلطفية.

وقد وظف السادات التعبيرات التأدبية الرسمية، التي بدت في السيد رئيس الكنيست والسيدات والسادة والسادة، وهي تعبيرات يمليها السياق الخطابي أو العرف الدبلوماسي، بيد أن السادات جعلها ممهدات لطرح القضايا الرئيسة في خطابه؛ إذ وردت ست مرات ابتداء ووسطًا وختامًا، ابتدأ ها ب" **السيد رئيس الكنيست، أيها السيدات والسادة**" وهذا وضع اعتيادي للتعبير ليس فيه تموضع أو انحراف، أما خمسة التعبيرات الأخرى فإنها وردت ممهدة لقضايا تقريرية شائكة مباشرة، قال: **أيها السيدات والسادة،** إن في حياة الأمم والشعوب لحظات يتعين فيها على هؤلاء الذين يتصفون بالحكمة والروية الثاقبة أن ينظروا إلى ما وراء الماضي، بتعقيداته ورواسبه؛ من أجل انطلاقة جسورة نحو آفاق جديدة"[80] و"**السيدات والسادة،** دعونا نتصارح بالكلمة المستقيمة والفكرة الواضحة التي لا تحمل أي التواء"([81]) و "**أيها السيدات والسادة،** إن السلام ليس توقيعًا على سطور مكتوبة، بل إنه كتابة جديدة للتاريخ، إن السلام ليس مباراة في المناداة به"([82])، و" **أيها السيدات والسادة،** قبل أن أصل إلى هذا المكان توجهت بكل نبضة في قلبي، وبكل خلجة في ضميري، إلى الله–سبحانه وتعالى– وأنا أؤدي صلاة العيد بالمسجد الأقصى....بأن تحقق هذه الزيارة أهدافها التي أرجوها"[83]

جلي أن التعبيرات التأدبية الرسمية مقرونة بقضايا رئيسة تخدم القضية الجوهرية، مثل تصدي أهل الحكمة والروية للحل، وأن السلام ليس مجرد كتابة على الورق، وأن المصارحة بالفكرة الواضحة والكلمة المستقيمة أمر مهم لحل النزاع. وهذه القضايا في حاجة إلى تلك التعبيرات التأدبية التي تلفت انتباههم إلى أهميتها ومحوريتها في حل الصراع والتخفيف من وقعها عليهم.

ويعكس تأكيد السادات ب" إن" في قوله" إن في حياة الشعوب" و" إن السلام ليس مباراة" أهمية تموضع هذه التعبيرات، ودورها الفاعل في إبراز القضايا للآخر. وقد بدا ذلك في استخدامه للتعبير "أيها السيدات والسادة" في إبراز نيته الخالصة وسعيه الصادق في تحقيق السلام وهو هدف الزيارة.

ولم يختلف تعبير "أيها السادة" الذي ورد مرة واحدة في توجهه وتوجيهه للقضايا عن خمسة التعبيرات الأخرى" أيها السيدات والسادة"؛ إذ يؤكد السادات بعد استخدامه للتعبير التأدبي أن السلام مقرون بالعدالة، قال:" الحق والحق أقول لكم: إن السلام لن يكون اسمًا على مسمى، ما لم يكن قائمًا على العدالة، وليس على احتلال أرض الغير"[84] ومن ثم كان عليه أن يستخدم تعبيرًا تأدبيًا يهون به من وقع الطرح على المخاطبين، الذي يصرح فيه بأنهم محتلون.

5-**تهديد ماء الوجه:** يحاول المتكلم هنا أن ينجز عمله دون اهتمام بالمستمع، فلا يراعيه ولا يعبأ به؛ ومن ثم لا يهتم المتكلم بتهذيب كلامه أو الحفاظ على ماء وجه المستمع وصونه، وقد يكون هذا السياق ملائمًا لذلك المنحى التهديدي؛ فإن " هذه الطريقة تعتمد السياقات التي يكون فيها تحقيق النجاعة وقضاء الحاجة المستعجلة أهم عند المتكلم والسامع من حفظ ماء الوجه."[85]

وقد تبدى في مواضع من خطاب السادات الذي التزم التأدب الإيجابي؛ إذ لما كان في وضع القوة، فعليه أن يضع الآخر الوضع الذي ينجز به عمله ويحقق له هدفه، ومن ثم لم يراع ماء وجه الآخر أو يخطر على باله في هذه المواضع.

إن التصريح المباشر والتهديد اللغوي أحيانًا كان ملمحًا بارزًا من ملامح الخطاب الساداتي الذي انبث في ثنايا الخطاب متفرقًا، وهو ما يتواءم مع السياق الذي أعقب حرب1973م، ومن ثم كان السادات كاشفًا للحقائق، قال: "إن الأمة العربية لا تتحرك في سعيها من أجل السلام الدائم العادل من موقع ضعف أو اهتزاز، بل إنها على العكس تمامًا، تملك من مقومات القوة والاستقرار ما يجعل كلمتها نابعة من إرادة صادقة نحو السلام، صادرة عن إدراك حضاري أنه لكي نتجنب كارثة محققة، علينا وعليكم وعلى العالم ، فغنه لا بديل عن إقرار سلام دائم وعادل لا تزعزعه الأنواء ولا تعبث به الشكوك، ولا يهزه سوء المقاصد أو التواء النوايا. من واقع هذه الحقائق–التي أردت أن أضعكم في صورتها كما أراها–**أرجو أيضا أن أحذركم، بكل الصدق أحذركم** من بعض الخواطر التي يمكن أن تطرأ على أذهانكم."[86]

البادي أن السادات حاول أن يوازن بين التهديد واجتذاب الآخر وحفظ ماء وجهه، فجمع بين الملطف والمهدد **(الرجاء والتحذير) (الصدق والتحذير)**، فيخفف ذلك من أثر التحذير ووقعه على الآخر، ومن ثم فإن السادات على وعي بالتموقع اللغوي للكلمات وما تتركه من تأثير في نفس المتلقي وعليه.

واستتبع ذلك التحذير النهي المباشر من السادات لهم عن الإقدام على أحلام الغزو، قال: "وبكل صراحة، وبالروح التي حدت بي على القدوم إليكم اليوم، فإني أقو ل لكم،

إن **عليكم أن تتخلوا نهائيًا عن أحلام الغزو**، وأن تتخلوا أيضًا عن الاعتقاد بأن القوة هي خير وسيلة للتعامل مع العرب. إن **عليكم ان تستوعبوا جيدًا دروس المواجهة مع العرب**"(87)

أعقب التحذير التصريح بالنهي عن أحلام الغزو الراكزة في أذهانهم، وهنا يصرح السادات بفكرته دون مراعاة للآخر بصيغة الأمر المباشر الذي لا يتضمن التماسًا أو ترضية، بل قد يفتح بابًا للخلافات بينهما والنزاعات، فيلقي إليه الدليل المقرون بالتوجيه، وهو الدرس الذي تلقته إسرائيل في حرب 1973م، وهذا لا يحفظ ماء وجوههم وإنما يريقه دون مراعاة لهم. وهنا يتخلى السادات عن المبادئ التأدبية؛ ليتخذ من المصارحة والتهديد أحيانًا المدخل للوصول إلى أن يحيد الآخر عن فكره أو أن ينتزعه من حنايا عقله. هذه كلمات مؤثرة على الآخر بل قاتلة له، فهي تطرح رغبة في إفحام الآخر وكشف حقيقة مزاعمه، إذ" ليست اللغة حيادية بل هي مجموعة من الكلمات المشحونة بقوة بالرغبات." (88)

ولعل ذلك كان أجلى في التوجه إليهم بقوله: "إن عليكم أن تستوعبوا جيدًا دروس المواجهة بيننا وبينكم فلن يجديكم التوسع شيئًا" فحسم الرسالة وأكد المقصد.

ألح السادات على هذا المنحى اللغوي ومغزاه بقوله:" لقد كان بيننا وبينكم جدار ضخم مرتفع، حاولتم أن تبنوه على مدى ربع قرن من الزمان، ولكنه تحطم عام 1973م. كان هذا الجدار جدارًا من الحرب النفسية المستمرة في التهابها وتصاعدها. كان هذا الجدار جدارًا من التخويف بالقوة القادرة على اكتساح الأمة العربية من أقصاها إلى أقصاها. كان هذا الجدار جدارًا من الترويج بأننا أمة تحولت إلى جثة بلا حراك، بل إن منكم من قال إنه حتى بعد مضي خمسين عامًا مقبلة، فلن تقوم للعرب قائمة من جديد. كان هذا الجدار جدارًا يهدد دائمًا بالذراع الطويل القادر على الوصول إلى أي موقع وإلى أي بعد. كان هذا الجدار جدارًا يحذرنا من الإبادة والفناء، إذا نحن حاولنا

أن نستخدم حقنا المشروع في تحرير أرضنا المحتلة. وعلينا أن نعترف أن هذا الجدار قد وقع وتحطم في عام 1973م."[89]

يستعرض السادات المزاعم المروجة من قبل الآخر وانهيار هذه المزاعم، وهذا لم يكن من باب التلطف بهم أو التخفيف عنهم، وإنما المواجهة المباشرة لوضعهم الوضع الذي يرتئيه المتكلم، أو وضعهم في الحيز اللائق بهم وتقدير المسافة بينهم، من خلال تحطيم العلاقة بين الأعلى والأدنى أو الأدنى والأعلى، وإرساء علاقة التوازي بين المتخاطبين، وهنا يؤسس السادات لتلك العلاقة فينزلهم منزلة التوازي بل منزلة الأدنى، وهذا قد يحطم مبدأ التودد وقاعدته بينهما؛ لأن" قاعدة التودد توجب على المتكلم أن يعامل المخاطب معاملة الند للند، ولا تفيد هذه المعاملة إلا إذا كان المتكلم أعلى مرتبة من المستمع أو في مرتبة مساوية لمرتبته"[90]، والمخاطَب هنا/إسرائيل يظن نفسه في مرتبة أعلى من المتكلم، وهو ما حطمه السادات.

إن التكرار القولي (وقع وتحطم عام 1973م) لم يقف عند التأكيد والإلحاح على رغبة لدى المتكلم، وإنما يطرح بعدًا بصريًا مرئيًا ملموسًا أمام الآخر، من خلال اللفظ الحسي المجسد، الذي يكون آكد في تقرير الفكرة وبروزها، فيتمثل أمامه بتحطم الجدار، وليس بعدًا سمعيًا قد يساوره الشك واللا يقين؛ ليكون وقعه أكثر تأثيرًا عليه وآلم نفسيًا له في الآن، وهنا يحقق السادات مقصده التواصلي مع الآخر من طريق المباشرة غير اللطيفة؛ فهو يعلي من الذات ويقلل من الآخر، فيكسر المنحى التواضعي له الذي قد يظنه المخاطب.

ولعل سياق الخطاب هنا لم يتحمل التلطف أو التودد بقدر ما اقتضى الصراحة والتحذير المشوب بالتهديد أحيانًا. إن السادات أراد إماطة اللثام عن بعض الحقائق التي لا يلتفت إليها الآخر وينتبه، إذ يسوغ لنفسه من احتلال أرض غيره ما يحرمه على غيره، فقال:" الحق والحق أقول لكم: إن السلام لن يكون اسمًا على مسمى، ما لم يكن قائمًا على العدالة، وليس على احتلال أرض الغير، ولا يسوغ أن تطلبوا لأنفسكم ما تنكرونه على غيركم."[91]

يمزج السادات بين صدق التوجيه وأمانة المصارحة للآخر من خلال التعبير (الحق والحق أقول، ولا يسوغ أن تطلبوا لأنفسكم...) وهذا قد لا يصون ماء وجه الآخر؛ لأنه يجعله معتديًا على غيره طالبًا ما لا يحققه هو، فيضعه أمام تناقضه بين القول والعمل، وهي حجة تضعف من موقف الآخر ودعواه، وهو المقصد ذاته الذي ذكره السادات أيضًا في قوله" لا معنى لأي خطوة لضمان حياتنا معًا في هذه المنطقة من العالم في أمن وأمان، وأنتم تحتلون أرضًا عربية بالقوة المسلحة، فليس هناك سلام يستقيم أو يبنى مع احتلال أرض الغير."[92] وكذلك في قوله:" هناك أرض عربية احتلتها، ولا تزال تحتلها إسرائيل بالقوة المسلحة، ونحن نصر على الانسحاب الكامل منها بما فيها القدس العربية"[93]

إذا كان من مبادئ التأدب أنه" على المتكلم ألا يستعمل من العبارات إلا ما يمكنه من حفظ مسافة بينه وبين المخاطب، فلا يفاتحه بما يكشف أحوال أحدهما الآخر، متجنبًا الصيغ التي تحمل دلالة وجدانية مثل أفعال القلوب، ولا يحمله على فعل ما يكره، محترزًا من استعمال الطلب المباشر، ولا يقتحم عليه شؤونه الخاصة إلا باستئذان قبل الكلام فيها والاعتذار"[94] فإن السادات لم يحفظ تلك المسافة بينه وبين المخاطبين وإنما أزالها مقتحمًا الشئون التي قد تبدو ذاتيه للآخر؛ لأنها تبنى على اعتقادات راسخة لديه، مستخدمًا الطلب المباشر أو الضمني، ولعل ذلك لم يكن في حاجة منه إلى استئذان أو تهيئة إذ إن القضية هي صلب الموضوع الذي يلقى من أجله الخطاب.

وقد بدا ذلك جليًا في صيغة الأمر الذي قد يأخذ شكل الطلب في قوله لهم:" عليكم أن تواجهوا الواقع مواجهة شجاعة كما واجهته أنا. ولا حل لمشكلة بالهروب منها أو التعالي عليها"[95]. ينهي السادات بالمباشرة والوضوح تلك القضية محل الصراع مؤكدًا توجهه ورأيه تجاه المخاطب، كما قال:" لكي نتكلم بوضوح، فإن أرضنا لا تقبل المساومة، وليست عرضة للجدل، إن التراب الوطني والقومي، يعتبر لدينا في منزلة الوادي المقدس طوى، الذي كلم فيه الله موسى عليه السلام، ولا يملك أي منا، ولا يقبل أن يتنازل عن شبر واحد منه، أو أن يقبل مبدأ الجدل والمساومة."[96]

إن الدافع النفسي لدى السادات جعل لغته تنتهج نهجًا مباشرًا في عرض فكرته فلم يحم حولها، بل أكدها تأكيدًا مباشرًا عن طريق التشبيه بالمكان المقدس لديهم ولديه، وهو الوادي المقدس طوى الذي كلم الله فيه موسي، ومن ثم فإنه لا حاجة إلى تخفيف المعنى أو ترقيقه؛ لأنه سوف يضحي من أجل شبر من هذا المكان المقدس. وذكر المقدسات من سمات التأثير السياسي في المخاطبين، كما أكد السعران بقوله: "من السمات العامة في مخاطبة الجماهير للتأثير السياسي استعمال الكلمات القديمة الغامضة المعنى والكلمات ذات الرنين والطنين، وتلوين الكلام بلون ديني وذكر المقدسات."[97]

وعلى الرغم من أن السياق يستدعي القوة والإقناع فإنه لم يلجأ إلى لغة التعنيف أو التهديد أو التخويف؛ لأن " استبدال الكلمات اللطيفة الخالية من أي مغزى سيئ أو مخيف بكلمات اللامساس يعد ضربًا من ضروب حسن التعبير. وحسن التعبير وسيلة مقنعة بارعة لتلطيف الكلام وتخفيف وقعه."[98]

فإذا كان حسن التعبير هنا وسيلة مقنعة فإنه يفضي به إلى وضع المخَاطب الوضع الذي يرجوه المتكلم، من استقبال المطروح والاقتناع به أو التفكر فيه، وهذا ما ظهر في تحديد السادات لمبتغى مجيئه إلى إسرائيل، قال:" ودعوني أقول لكم بلا أدنى تردد: إنني لم أجئ إليكم تحت هذه القبة؛ لكي أتقدم برجاء أن تجلوا قواتكم من الأرض المحتلة، إن الانسحاب الكامل من الأرض المحتلة بعد 1976م أمر بديهي، لا نقبل فيه الجدل، ولا رجاء فيه لأحد أو من أحد."(99)

ينأى السادات عن اللغة الحيادية أو لغة التحويم–إن جاز التعبير – وكذلك لغة التأدب التي قد تبعد عن توصل المقصد التواصلي بشكل جلي، فيستخدم اللغة التقريرية التي لا تقبل المناقشة والجدل من التوكيد ب (إن) والتصريح المباشر بأن ما يطرحه من مطلب لا يقبل الجدل أو الرجاء.

ولعل إلقاء السادات لتلك القضايا بالنبر على بعض الحروف مثل الصوائت لا سيما ألف المد، وهو ما ينماز به السادات في خطابه – وكل خطاباته– أسهم في أن تصل مرسلته إلى المخاطب دون تأويل منه أو تغيير، بل تبرز رغبته الداخلية في تأكيدها وعدم الحياد عنها. وهذه إحدى طرق عرض الخطاب عرضًا حجاجيًا ب " التشديد على بعض مقاطع الخطاب من خلال الصوت أو من خلال الصمت الذي يسبق أداءها."(100)

-6- **الخاتمة:** عطفا إلى ما تقدم عرضه يخلص البحث إلى أن التأدب وسيلة من وسائل تفعيل روابط الاتصال بين المتفاعلين، وتخفيف حدة النزاع بينهم وإزالته، فهو يكشف عن نية المخاطِب تجاه المخاطَب. والتأدب موجود عبر الثقافات بآلياته المتباينة في كل ثقافة، بل إنه يختلف في الرجال عن النساء، فالنساء أكثر تأدبًا من الرجال.

وقد بدا التأدب الوجاهي عند براون وليفنسن بوصفه أبرز النظريات التي تقوم على إنجاز العمل، بتمتين وشائج التواصل؛ بحفظ ماء وجه الآخر من خلال التأدب الإيجابي الذي يسعى فيه المتكلم بأن يشاركه المستمع إنجاز عمله، والتأدب السلبي الذي يسعى فيه المتكلم ألا يعوقه شيء في إنجاز عمله، وتهديد ماء الوجه الذي لا يبالي فيه المتكلم بالمستمع.

وقد وظف السادات التأدب في خطابه في الكنيست الإسرائيلي بأنواعه الإيجابي والسلبي وتهديد ماء الوجه. وقد بدت آليات التأدب متضافرة لتشكل نصًا تأدبيًا إقناعيًا، أنجز فيه السادات بغيته بإنجاز عمله وهو تحقيق السلام، موظفًا التأدب الإيجابي الذي حفظ به ماء وجه الآخر تارة؛ بالبحث عن المناطق المشتركة مع الآخر لاسيما المنحى الديني، والتعاون التبادلي بتوظيفه للضمائر التشاركية التي تشرك الآخر معه في القضايا التي تحقيق السلام، وإيراد المبررات والحجج العقلية والعاطفية للإنجاز، و كذلك التأدب السلبي الذي أنجز به هدفه مراعيًا الآخر، بمباشرة الطرح وتخفيفه، وتفعيل السؤال التلطفي في عرض قضاياه، وكذلك التعبيرات التأدبية الرسمية وغير الرسمية، التي بدت فاعلة في التمهيد للقضية الأصلية أو الفرعية.

ولم يخل خطاب السادات من إراقة ماء وجه الآخر خصوصًا ما يتعلق بفكرة غزو الآخر واحتلال أرضه، فلم يراع المستمع، فوجه إليه سهام نقده ونقضه، بعنف لغوي وتهديد صريح.

وقد عكس المنحى التأدبي في خطاب السادات نيته الخالصة في توجهه نحو تحقيق السلام العادل، الذي ألح عليه كثيرًا، ولم يكن من قبيل المخاتلة والمراوغة أو الخداع السياسي الذي يحقق به مصالح ذاتية. إن خطاب السادات في الكنيست الإسرائيلي عكس منحى تأدبيًا سعى فيه السادات إلى مد وشائج التواصل مع الآخر.

الهوامش

[1] نظرية التأدب في اللسانيات التداولية: حاتم عبيد (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم الفكر، مج43، العدد1، 2014) ص114.

[2] تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي: بهاء الدين مزيد (القاهرة، شمس للنشر، ط1، 2010) ص62.

[3] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: طه عبد الرحمن (المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998) ص252.

[4] نفسه: ص243.

[5] نظرية التأدب في اللسانيات التداولية: حاتم عبيد ص131.

[6] نفسه: ص132.

[7] نفسه: ص132.

[8] نفسه: ص132.

[9] معجم تحليل الخطاب: باتريك شارودو ودومينيك منغو، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود (تونس، دار سيناترا، 2008) ص429.

[10] نظرية التأدب في اللسانيات التداولية: حاتم عبيد ص133.

[11] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: طه عبد الرحمن ص244.

[12] The Discourse Reader: Adam Jaworski and Nikolas Coupland,New York,Routledge,1999,p:312

[13] نفسه: ص312.

[14] انظر: نظرية التأدب في اللسانيات التداولية: حاتم عبيد ص 134-136.

[15] تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي: بهاء الدين مزيد ص65.

[16] نفسه: ص65.

[17] النص والخطاب والاتصال: محمد العبد (القاهرة، الأكاديمية الحديثة للنشر والتوزيع، 2014) ص53.

[18]Women,men and politeness: Janet Holmes,published by Routledge,2013,p:1

[19] نفسه: ص2.

[20] نفسه: ص2

[21] معجم تحليل الخطاب: باتريك شارودو ودومينيك منغو ص432.

[22] أثر التلطف في التطور المصطلحي: سعيد جبر أبو خضر (الكويت، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مج12، العدد 112، 2010) ص 174.

[23] انظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: طه عبد الرحمن ص249.

[24]خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في افتتاح دورة الانعقاد الثاني لمجلس الشعب 1977/11/9، محرك البحث google، تاريخ الاطلاع 2018/4/12، Sadat.bibalex.org.

[25]خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات، محرك البحث google، تاريخ الاطلاع 2018/4/12
https://content.ecf.org.il/files/M00632_SadatKnessetSpeechArabic.pdf,/

https://knesset.gov.il/docs/arb/sadatspeech.htmص1,

[26] البعد الشعبوي في الخطاب الساداتي: عبد العليم محمد (القاهرة، مجلة الديمقراطية، مج16، العدد 62، 2016) ص 63.

[27] Power and politeness: a study of social interaction in business meetings with multicultural participation: Mabelle Victoria ,ESP across Cultures, 2009,- linguisticsnetwork.com,p132. .

[28] خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص3.

[29]تفسير سفر التكوين: أنطونيوس فكري، http://coptic-treasures.com، تاريخ الاطلاع 2019/2/16، الإصحاح 15.

[30] خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص7.

[31] نفسه: ص1.

[32] نفسه: ص7.

[33] نظرية التأدب في اللسانيات التداولية: حاتم عبيد ص136.

[34] خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص2.

[35] نفسه: ص4.

[36]نفسه: ص3.

[37]نفسه: ص3.

[38] التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي: مسعود صحراوي (بيروت، دار الطليعة، ط1، 2005) ص30/31.

[39] خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص2.

[40] نفسه: ص3.

[41] نفسه: ص5.

[42] نفسه: ص7.

[43] نفسه: ص7.

[44] نظرية التأدب في اللسانيات التداولية: حاتم عبيد ص131.

[45] خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص1.

[46] نفسه: ص1.

[47] نفسه:10

[48] تداولية مبدأ التأدب في إنجازاية الفعل الكلامي: عبد الحليم عيسي (الجزائر، مجلة رفوف، العدد9، 2016) ص15.

[49] خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص10.

[50] معجم تحليل الخطاب: باتريك شارودو ودومينيك منغو صص17.

[51] خطاب الرئيس المصري محمد السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص10.

[52] نفسه: ص6.

[53] المعجم الفلسفي: جميل صليبا ص237

[54] خطاب الرئيس السادات المصري محمد في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص2.

[55] نفسه: ص2.

[56] التعريفات: علي بن محمد علي الشريف الجرجاني، (القاهرة، دار الفضيلة، د: ت) ص18.

[57] خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص6.

[58] الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج –الخطابة الجديدة –لبرلمان وتيتكاه: عبدالله صوله، ضمن كتاب الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود (تونس، كلية الآداب، منوبة، د:ت)ص328.

[59] نظرية التأدب في اللسانيات التداولية: حاتم عبيد ص137.

[60] خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص ص4–5.

[61] كتاب الحروف: الفارابي، تحقيق: محسن مهدي (بيروت، دار المشرق، د: ت) ص 162.

[62] سورة الكهف: الآية 66.

[63] تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير القرش، تحقيق: سامي خشبة(السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999)5/181.

[64] نظرية التأدب في اللسانيات التداولية: حاتم عبيد ص138.

[65] خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص ص5–6.

[66] كتاب الحروف: الفارابي ص 205.

[67]نفسه: ص204.

[68] خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص3.

[69] نفسه: ص6.

[70] سؤال البلاغة وبلاغة السؤال: عز الدين الخطاب وإدريس كثير (السعودية، مجلة علامات، ج28، 1998) ص335.

[71] نفسه: ص335.

[72] خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص6.

[73] اللغة والمجتمع رأي ومنهج: محمود السعران (الإسكندرية، ط2، 1963) ص21.

[74] خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص8.

[75] نفسه: ص11.

[76] نفسه: ص1.

[77] اللغة والمجتمع رأي ومنهج: محمود السعران ص12.

[78] خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص10.

[79] نفسه: ص1.

[80] نفسه: ص2.

[81] نفسه: ص3.

[82] نفسه: ص9.

[83] نفسه: ص10.

[84] نفسه: ص6.

[85] نظرية التأدب في اللسانيات التداولية: حاتم عبيد ص133.

[86] خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص4.

[87] نفسه: ص6.

[88] عنف اللغة: جان جاك لوسركل، تر: محمد بدوي (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2005) ص413.

[89] خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص5.

[90] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: طه عبد الرحمن ص241.

[91] خطاب الرئيس السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص6

[92] نفسه: ص 7.

[93] نفسه: ص7.

[94] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: طه عبد الرحمن ص241.

[95] خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص8.

[96] نفسه: ص6.

[97] اللغة والمجتمع رأي ومنهج: محمود السعران (الإسكندرية، ط2، 1963) ص97/98.

[98] دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان ص177.

[99] خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي: محمد أنور السادات ص6.

[100] الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج –الخطابة الجديدة–لبرلمان وتيتكاه: عبد الله صوله، ضمن كتاب الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص318.

المصادر

خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات: محمد أنور السادات، محرك البحث google، تاريخ الاطلاع 2018/4/12

https://content.ecf.org.il/files/M00632_SadatKnessetSpeechArabic.pdf,/

https://knesset.gov.il/docs/arb/sadatspeech.htm

المراجع

1. أثر التلطف في التطور المصطلحي: سعيد جبر أبو خضر (الكويت، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مج12، العدد 112، 2010).

2. البعد الشعبوي في الخطاب الساداتي: عبد العليم محمد (القاهرة، مجلة الديمقراطية، مج16، العدد 62، 2016)

3. بلاغة السؤال وسؤال البلاغة: عز الدين الخطابي وإدريس كثير (السعودية، مجلة علامات، ج28، 1998)

4. تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي: بهاء الدين مزيد (القاهرة، شمس للنشر، ط1، 2010).

5. التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي: مسعود صحراوي (بيروت، دار الطليعة، ط1، 2005).

6. التعريفات: علي بن محمد علي الشريف الجرجاني، (القاهرة، دار الفضيلة، د: ت)

7. تفسير سفر التكوين: أنطونيوس فكري، http://coptic-treasures.com، تاريخ الاطلاع 2019/2/16

8. تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمرو بن كثير القرش، تحقيق: سامي خشبة(السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999).

9. الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج –الخطابة الجديدة – لبرلمان وتيتكاه: عبدالله صوله، ضمن كتاب الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود (تونس، كلية الآداب، منوبة، د:ت)

10. عنف اللغة: جان جاك لوسركل، تر: محمد بدوي (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2005).

11. كتاب الحروف: الفارابي، تحقيق: محسن مهدي (بيروت، دار المشرق، د:ت).

12. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: طه عبد الرحمن (المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998)

13. اللغة والمجتمع رأي ومنهج: محمود السعران (الإسكندرية، ط2، 1963).

14. معجم تحليل الخطاب: باتريك شارودو ودومينيك منغو، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود (تونس، دار سيناترا، 2008).

15. النص والخطاب والاتصال: محمد العبد (القاهرة، الأكاديمية الحديثة للنشر والتوزيع، 2014)

16. نظرية التأدب في اللسانيات التداولية: حاتم عبيد (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم الفكر، مج43، العدد1، 2014).

المراجع الأجنبية

1-The Discourse Reader: Adam Jaworski and NikolasCoupland,New York,Routledge,1999.

2-Women,men and politeness: Janet Holmes,published by Routledge,2013.

3 Power and politeness: a study of social interaction in business meetings with multicultural participation: Mabelle Victoria,ESP across Cultures, 2009, linguistics network.com . -